تفسير

سورة الأعلى[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

١. ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قال الفرَّاء: «سبح اسم ربك»، و«[فسبح] باسم ربك[٢]، كل ذلك قد جاء، وهو كلام العرب[٣]. هذا كلامه، وكأنه جعلهما[٤] بمعنى واحد، وبينهما فرق؛ لأن معنى «سبح باسم ربك» نزه الله بذكر اسمه المنزه المنبئ[٥] عن تنزيهه وعلوه عما يقول الظالمون.

---

(١) مكية بإجماعهم، حكاها ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٢٢٧، وانظر: جامع البيان ٣٠/ ١٥١، وبحر العلوم ٣/ ٤٦٩، والكشف والبيان: ج١٣: ٧٥/ أ، وذكر ابن عطية قولاً ضعفه، وهو ما حكاه النقاش عن الضحاك أنها مدنية. انظر: المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٨.

(٢) سورة الواقعة ٧٤، ٩٦. قال تعالى ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾.

(٣) معاني القرآن ٣/ ٢٥٦.

(٤) في (أ): جعلها.

(٥) في (أ): المنهي.

و«سبح اسم ربك» (نزِّهه من السوء ، وقل : سبحان ربي الأعلى)[١] ، وهذا معنى قول المفسرين[٢] ، وقد روى عن علي[٣] ، وابن عباس[٤] ، وابن الزبير[٥][٦] -رضي الله عنهم- أنهم قرؤوا (قوله)[٧] : ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ ، فقالوا : سبحان ربي الأعلى ، فإذا قلت : سبح باسم ربك ، كان المعنى : سبح (بذكر اسمه ، وإذا قلت : سبحان اسم ربك ، كان المعنى سبح)[٨] ربك ؛ لأن الاسم هو المسمى .

قال صاحب النظم : قد احتج بهذا الفصل من يقول : إن الاسم والمسمى واحد ؛ لأن أحداً لا يقول : سبحان (اسم)[٩] الله ، وسبحان اسم ربنا ، فمعنى «سبح اسم ربك» : سبح ربك ، والرب أيضاً اسم ، فلو كان غير المسمى لم يجز أن يقع التسبيح عليه[١٠] .

---

(١) ما بين القوسين من قول الزَّجَّاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣١٥ .

(٢) قال بذلك إضافة إلى ما ذكره الواحدي : ابن عمر ، وقتادة ، جامع البيان ٣٠/ ١٥١ ، وقال به أيضاً الثعلبي في الكشف والبيان : ج ١٣ : ٧٦/ ب ، وعزاه البغوي إلى جماعة من الصحابة والتابعين في معالم التنزيل ٤/ ٤٧٥ . وذهب آخرون إلى أن معنى الآية : نزِّه يا محمد اسم ربك الأعلى أن تسمي به شيئاً سواه نحو ما قال المشركون عن آلهتهم : اللات ، والعزى .
وقال غيرهم : بل معنى ذلك : نزِّه الله عما يقول فيه المشركون .
وقال بعضهم : نزِّه تسميتك يا محمد ربك الأعلى ، وذكرك إياه أن نذكره إلا وأنت له خاشع متذلل .
وقالوا أيضاً : صل بذكر ربك يا محمد .
راجع ذلك في جامع البيان ٣٠/ ١٥١ ، ١٥٢ .

(٣) جامع البيان ٣٠/ ١٥١ ، والنكت والعيون ٦/ ٢٥٢ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٦٨ .

(٤) المراجع السابقة عدا المحرر .

(٥) في (ع) : زبير .

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٨ .

(٧) ساقط من (أ) .

(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٩) ساقط من (أ) .

(١٠) ورد قوله في الوسيط ٤/ ٤٦٩ ، وقد بيَّن ابن تيمية أنه أمره بتسبيح ربه في كلا الآيتين : الواقعة ، والأعلى ، ولكن ليس أمر بصيغة معينة ، فإذا قال : سبحان الله وبحمده ، وسبحانك اللهم وبحمدك ، =

٢. قوله : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ قال عطاء : أحسن مَا خلق[١] . وقال الكلبي : خلق كل ذي روح ، فجمع خلقه وسواه : اليدين ، والعينين ، والرجلين[٢] .

وقال مقاتل : خلق لكل دَابة مَا يصلح لها من الخلق[٣] .

وقال أبو إسحق : خلق الإنسان مستوياً[٤] ، وعلى هذا معنى : «سوى» عَدّل قامته[٥] .

= فقد سبح ربه الأعلى والعظيم ، فالله هو الأعلى ، وهو العظيم ، واسمه الله يتناول سائر الأسماء بطريق التضمن ، وإن كان التصريح بالعلو والعظمة ليس هو فيه ، ففي اسم الله التصريح بالإلهية ، واسمه الله أعظم من اسمه الرب .
مجموع الفتاوى ١٦/ ١١٧ .

(١) ورد قوله في شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل : لابن قيم الجوزية ١١٧ ، ١١٨ ، وإحسان خلقه يتضمن تسويته ، وتناسب خلقه وأجزائه ؛ بحيث لم يحصل فيها تفاوت يخل بالتناسب والاعتدال ، فالخلق : الإيجاد ، والتسوية : إتقانه وإحسان خلْقه ، قاله ابن قيم الجوزية في شفاء العليل ١١٨ .

(٢) معالم التنزيل ٤/ ٤٧٥ ، بنحوه ، روح المعاني ٣٠/ ١٠٤ ، وشفاء العليل ١١٨ وورد غير معزو في لباب التأويل ٤/ ٣٦٩ .

(٣) لم أعثر على قوله في تفسيره ، ولا غيره من كتب التفسير ، وقد ورد في شفاء العليل ١١٨ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣١٥ ، وهذا القول من الزَّجَّاج على سبيل التمثيل ، وإلا فالخلق والتسوية شامل للإنسان وغيره ، قال تعالى : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ [الشمس :٧] ، ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البقرة :٢٩] ، فالتسوية شاملة لجميع مخلوقاته ، ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك :٣] ، وما يوجد من التفاوت ، وعدم التسوية ، فهو راجع إلى عدم إعطاء التسوية للمخلوق ، فإن التسوية أمر وجودي تتعلق بالتأثير والإبداع ، فما عُدم منها فالعدم بإرادة الخالق بالتسوية ، وذلك أمر عَدَمي يكفي فيها عدم الإبداع والتأثير ، ففي قوله : ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ التفاوت حاصل بسبب عدم مشيئة التسوية ، كما أن الجهل ، والصمم ، والعمى ، والخرس ، والبكم يكفي فيها عدم مشيئة خلْقها وإيجادها ، والمقصود أن كل مخلوق فقد سواه خلقه ـ سبحانه ـ في مرتبة خلقه ، وإن فاتته التسوية من وجه آخر لم يخلق له . قاله ابن قيم الجوزية في شفاء العليل ١١٨ .

(٥) ما مضى من الأقوال داخله في المرتبة الأولى من مراتب الهداية ، وهي الهداية العامة ؛ هداية كل نفس إلى =

٣. ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ﴾ وقرئ بالتخفيف[١]، وهما بمعنى واحد[٢]، وقد ذكرناه[٣] في مواضع[٤].

قال عطاء: قدر من النسل مَا أراد[٥]. وقال مقاتل: قدر خلق الذكر والأنثى من الدواب[٦].

﴿فَهَدَىٰ﴾. الذكر، والأنثى كيف يأتيها، وهو قول ابن عباس[٧]، (والكلبي)[٨][٩].

قال عطاء: مثل قوله ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠] يريد الذكر والأنثى[١٠].

= مصالح معاشها وما يقيمها، المتضمنة أربعة أمور عامة، وهي: الخلق، التسوية، التقدير، الهداية: شفاء العليل ١١٧.

(١) قرأ بذلك: الكسائي وحده: قدَرَ خفيفاً، وقرأ الباقون: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ﴾ مشددة.
انظر: كتاب السبعة ٦٨٠، القراءات وعلل النحويين فيها ٢/ ٧٦٧، والحجة ٦/ ٣٩٨، والمبسوط ٤٠٥، والنشر ٢/ ٣٩٩، والوافي ٣٧٩.

(٢) أي قَدَر، وقَدِّر. فكلا الوجهين حسن. قاله أبو علي: الحجة ٦/ ٣٩٨.

(٣) في (ع): ذكرنا.

(٤) المواضع التي ذكر فيها ﴿قَدَّرَ﴾: سورة فصلت ١٠: قال تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾: سورة المدثر ١٨-٢٠ قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾.

(٥) شفاء العليل ١١٨، بإضافة: ثم هدى الذكر للأنثى.

(٦) تفسير مقاتل ٢٣٧/ ب، شفاء العليل ١١٨، وانظر: الوسيط ٣/ ٤٧٠ وعزاه إلى المفسرين.

(٧) الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٥، وشفاء العليل ١١٨.

(٨) الكشف والبيان: ج ١٣: ٧٧/ أ، معالم التنزيل ٤/ ٤٧٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٦٩ بمعناه، الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٥، وشفاء العليل ١١٨.

(٩) ساقط من: (أ).

(١٠) لم أعثر على مصدر لقوله.

واختـــاره صَاحب النظم ، قـــال : معنى هذا[١] هداية الذكـــر لإتيان الأنثى كيـــف يأتيها ؛ لأن إتيـــان ذكران الحيـــوان مختلف لاختلاف الصـــور والخلق ، والهيآت ، فلولا أنـــه -عز وجل- جعل كل ذكر على معرفتـــه[٢] كيف يأتي أنثى جنسه لما اهتدى لذلك[٣] .

وذكر مقاتل قولاً آخر ، فقال : هداه لمعيشته ومرعَاه[٤] . وقال مجاهد : هدى الإنسان لســـبيل الخير ، والشر ، والسعادة[٥] ، والشقاوة[٦] . وقال السدي : قدر مُدة الجنين في الرحم ، ثم هدى للخروج[٧] .

وقال الفرَّاء : قدَّر فهدى وأضل ، واكتفى من ذكر الضلال بالهدى[٨] لكثرة ما يكون معه[٩] .

---

(١) في (ع) : هذي .

(٢) في (ع) : معرفة .

(٣) الوسيط ٤/ ٤٧٠ ، وشفاء العليل ١١٨ .

(٤) شفاء العليل ١١٨ ، والتفسير الكبير ٣١/ ١٤٠ من غير عزو ، ولم أعثر على قوله في تفسيره .

(٥) بياض في (ع) .

(٦) ورد معنـــى قوله في تفســـير الإمام مجاهـــد ٧٢٢ ، وجامع البيـــان ٣٠/ ١٥٢ ، والكشـــف والبيان ج ١٣ : ٧٧/ أ ، النكت والعيون ٦/ ٢٥٢ ، وبمثل قوله ورد في معالم التنزيل ٤/ ٤٧٥ ، وزاد المســـير ٨/ ٢٢٨ ، والتفســـير الكبير ٣١/ ١٤٠ من غير عزو ، الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٥ بنحوه ، تفسير القـــرآن العظيم ٤/ ٥٣٤ بمعناه ، الدر المنثور ٨/ ٤٨٢ وعزاه أيضاً إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، انظر : شفاء العليل ١١٨ .

(٧) ورد معنى قوله في معالم التنزيل ٤/ ٤٧٥ ، وزاد المسير ٨/ ٢٢٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٦ ، وروح المعاني ٣٠/ ١٠٤ ، وشفاء العليل ١١٨ .

(٨) في (أ) : الهدا .

(٩) معاني القرآن ٣/ ٢٥٦ بنصه .

والآيـــة أعم من هذا كله ، وأضعف الأقوال فيها قول الفـــرَّاء ، إذ المراد هاهنا : الهداية العامة لمصالح الحيوان في معاشـــه ، وليس المراد به الإيمان والضلال بمشـــيئة ، وهو نظير قوله : ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ طه ٥٠ ، فإعطاء الخلق إيجاده في الخارج ، والهداية : التعليم ، والدلالة على سبيل بقائه وما يحفظه ويقيمه ، وما ذكر مجاهد فهو تمثيل منه لا تفســـير مطابق للآية ، فإن الآية شاملة لهداية =

٤. قوله (تعالى)[١] : ﴿وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ﴾ أنبت العشب ، وما ترعَاه السوائم .

٥. ﴿فَجَعَلَهُۥ﴾[٢] بعد الخضرة . ﴿غُثَآءً﴾ هشيما جافاً كالغثاء الذي تراه فوق السيل . قال المبرِّد : الغثاء : مَا تحطم من يبس البقل يأتي به السيل فيقذفه على جانب الوادي[٣] . قال الكلبي : غثاء يبيساً[٤] . وقال مقاتل : يابساً[٥] . وقوله[٦] (تعالى)[٧] : ﴿أَحۡوَىٰ﴾ .

فيه وجهان أحدهما : أنه من نعت الغثاء ، والمعنى فجعله يابساً أسود بعد الخضرة .

= الحيوان كله : ناطقه ، وبهيمة ، وطيره ، ودوابه ، فصيحه ، وأعجمه ، وكذلك قول من قال : إنه هداية الذكر لإتيان الأنثى تمثيل أيضاً ، وهو فردٌ واحدٌ من أفراد الهداية إلى التقام الثدي عند خروجه من بطن أمه ، والهداية إلى معرفته أمه دون غيرها حتى يتبعها أين ذهبت ، والهداية إلى قصد ما ينفعه من المرعى دون ما يضره منه . قاله ابن قيم الجوزية شفاء العليل ١١٩ .

وقال الشيخ السعدي : وهذه هي الهداية العامة التي مضمونها أنه هدى كل مخلوق لمصلحته . تيسير الكريم الرحمن ٥/ ٤٠٣ .

(١) بياض من (ع) .

(٢) ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ﴾ .

(٣) لم أعثر على مصدر لقوله ، والذي ورد عنه في الكامل ، قال : فالغثاء ما يَبسَ من البقل حتى يصير حُطاماً ، وينتهي في اليبس فيسودّ ، فيقال له : غثاء ، وهشيم ، ودِنْدِن ، وثن على قدر اختلاف أجناسه ١/ ١١٣ .

(٤) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٥) تفسير مقاتل ٢٣٧/ ب .

(٦) في (أ) : قوله .

(٧) ساقط من (ع) .

قال عطاء : يريد بعد الخضرة والحسن صَار متغيراً إلى السواد[١] . وقال الكلبي : حال عليه الحول فاسودّ[٢] . وقال مقاتل : يعني بالياً بعد الخضرة[٣] . هذا مذهب المفسرين[٤] ، وذلك أن الرطب إذا جف يبس واسودّ كما قال[٥] :

ربع الخمائل في الدرين الأسود[٦]

وذكر أبو عبيدة[٧] ، والفرَّاء[٨] ، (والمبرِّد[٩] ، والزَّجَّاج)[١٠][١١] ، وأبو علي[١٢] وجهاً آخر ، وهو أن ﴿أَحْوَىٰ﴾ في موضع نصب حال من المرعى ، المعنى : الذي أخرج المرعى أحوى ؛ أي أخضر يضرب إلى الحوَّة ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً﴾ ،

---

(١) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٣) ورد معنى قوله في تفسير مقاتل ٢٣٧/ ب .

(٤) والى معنى هذا ذهب قتادة ، ومجاهد ، وابن زيد ، وابن عباس . تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٦٧ جامع البيان ٣٠/ ١٥٣ . وإليه ذهب ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٥٢٤ ، وانظر : معالم التنزيل ٤/ ٤٧٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٧ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٧٠ .
كما وذهب إلى ذلك أيضاً الفرَّاء في معاني القرآن ٣/ ٢٥٦ ، وأبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٩٥ .

(٥) لم أعثر على قائله .

(٦) لم أعثر على مصادر له .

(٧) مجاز القرآن ٢/ ٢٩٥ ، وقد ذكر الوجهين ، قال : فجعله [غثاء أحوى] هيجه حتى يبس فجعله أسود من احتراقه غثاء هشيماً ، وهو في موضع آخر : من شدة خضرته ، وكثرة مائه يقال له أحوى .

(٨) معاني القرآن ٣/ ٢٥٦ ، وذكر الوجهين أيضاً ، وقال : الأحوى الذي قد أسودّ عن العتق ، ويكون أيضاً أخرج المرعى أحوى فجعلة غثاء ، فيكون مؤخراً معناه التقديم .

(٩) الكامل ١/ ٣٠٥ ، واستدل في الآية لمن قال في السواد ، ثم قال : وإنما سمي السواد سواداً لِعِمارتِه ، وكل خضرة عند العرب سواد .

(١٠) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣١٥ .

(١١) ما بين القوسين ساقط من : (أ) .

(١٢) لم أعثر على مصدر لقوله .

وأحوى على هذا صفة للمرعى ، والمعنى أسودّ من الري لشدة الخضرة ، كقوله : ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ ﴾ [الرحمن :٦٤] ، وقد مر[١] . والحوّة : السواد ، قال ذو الرمة :

لَمياءُ في شَفَتَيْها حُوَّةٌ لَعَسٌ وفي اللِّثاتِ[٢] وفي أنيابِها شَنَبُ[٣]

٦. (قوله تعالى)[٤] : ﴿ سَنُقْرِئُكَ ﴾[٥] ؛ أي سنجعلك قارئاً بأن نلهمك القراءة .

---

(١) ومما جاء في تفسير قوله : ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ ﴾ : قال أبو عبيدة : في خضرتهما قد اسودتا من الري ، قال أبو إسحق : وكل نبت أخضر فتمام خضرته وريه أن يضرب إلى السواد ، ومعنى الدهمة في كلام العرب السواد . قال الليث : أدهام الزرع إذ علاه السواد رياً .

قال ابن عباس : شديد الخضرة إلى السواد . وقال الكلبي : خضراوان قد كلاهما سواد من شدة الخضرة والري ، والأصل في ذلك أن الخضرة إذا اشتدت ضربت إلى السواد ، سمت العرب الأخضر أسود ، والأسود أخضر .

والوجه الثاني : رده الطبري ، قال : وهذا القول ، وإن كان غير مدفوع أن يكون ما اشتدت خضرته من النبات ، قد تسميه العرب أسود ، غير صواب عندي ، بخلافه تأويل أهل التأويل في أن الحرف إنما يحتال لمعناه المخرج بالتقديم والتأخير إذ لم يكن له وجه مفهوم إلا بتقديمه عن موضعه ، أو تأخيره ، فأما وله في موضعه وجه صحيح ، فلا وجه لطلب الاحتيال لمعناه بالتقديم والتأخير . جامع البيان ١٥٣/٣٠ .

(٢) في (أ) : الثات .

(٣) ورد البيت في ديوانه ١/ ٣٢ ، وتهذيب اللغة ٥/ ٢٩٣ ، مادة : (حوى) ، لسان العرب (شنب) ١/ ٥٠٧ ، والنكت والعيون ٦/ ٢٥٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٧ ، وقد نسبه إلى الأعشى ، وهو خطأ ، فتح القدير ٥/ ٤٢٣ ، وروح المعاني ٣٠/ ١٠٤ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٥٧ ، ومعنى البيت قال الأزهري : والحوَّة في الشفاه شبيه باللمى واللمس ، برواية لمس بدلاً من لعس ، والشنب : اختلفوا فيه ، قال بعضهم : هو تحزيز أطراف الأسنان ، وقيل : هو صفاؤها ونقاؤها ، وقيل : هو تفليجها ، وقيل : هو طيب نكهتها .

انظر : تهذيب اللغة (حوى) ٥/ ٢٩٣ ، ولسان العرب (شنب) ١/ ٥٠٧ .

(٤) ساقط من (ع) .

(٥) ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾ .

﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ ما تقرأه . والمعنى : نجعلك قارئاً للقرآن تقرأه فلا تنساه . قال أبو إسحق : أعلم الله أنه سيجعل للنبي ﷺ آية يتبين له بها الفَضْيلة[١] ، وهي أن ينزل عليه جبريل حتى يقريه ، فيقرأ ، ولا ينسى شيئاً من ذلك ، وهو أمي لا يكتب كتاباً ولا يقرؤه[٢] ، وهذا معنى قول قتادة[٣] .

وقال مجاهد[٤] ،ومقاتل[٥] ، (والكلبي)[٦][٧]كان النبي ﷺ إذا نزل عليه القرآن أكثر تحريك لسَانه ، مخافة أن ينسى ، وكان لا يفرغ جبريل من آخر الوحي حتى يتكلم[٨] هو بأوله مخافة النسيان ، فقال الله تعالى : ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ ؛ أي سنعلمك فتحفظه ، وهذا كقوله : ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ[٩] إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه :١٦] ، وقوله : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾[١٠] [القيامة :١٦] .

---

(١) الفضيلة : هكذا وردت في معاني القرآن وإعرابه : مخطوط ٢٩/ ب ، ووردت في المطبوع الفضلية ٥/ ٣١٥ ، ولعله خطأ مطبعي .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣١٥ ، ٣١٦ بتصرف .

(٣) وعن قتادة قال : كان الله يُنسي نبيه ﷺ ما يشاء ، وعنه أيضاً كان ﷺ لا ينسى شيئاً إلا ما شاء الله . انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٦٧ ، وجامع البيان ٣٠/ ١٥٤ ، والكشف والبيان : ج١٣ : ٧٧/ أ ، النكت والعيون ٦/ ٢٥٣ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٦٩ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٥٨ .

(٤) الكشف والبيان : ج١٣ : ٧٧/ أ ، معالم التنزيل ٤/ ٤٧٦ ، والتفسير الكبير ٣١/ ١٤٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٨ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٧٠ من غير عزو ، فتح القدير ٥/ ٤٢٤ .

(٥) تفسير مقاتل ٢٣٧/ ب ، التفسير الكبير ٣١/ ١٤٢ ، وورد بمثله من غير نسبة في لباب التأويل ٤/ ٣٧٠ .

(٦) المرجعان السابقان ، بإضافة الكشف ج ١٣ : ٧٧/ أ ، معالم التنزيل ٤/ ٤٧٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٨ ، وفتح القدير ٥/ ٤٢٤ .

(٧) ساقط من : (أ) .

(٨) بياض في (ع) .

(٩) قوله أن يقضي : بياض في(ع) .

(١٠) بياض في ع .

٧. قوله (تعالى)[١] : ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾[٢] .

قال عطاء عن ابن عباس : إلا مَا شاء الله أن ينسيَك[٣] . ونحوه قال مقاتل : إلا مَا شاء الله أن تنسى منه[٤] . وعلى هذا معنى الاستثناء يعود إلى مَا ينسيه الله بنسخه من رفع حكمه[٥] وتلاوته ، كما قال : ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة :١٠٦] ، والإنساء[٦] نوع من النسخ ، (وهذا معنى قول الحسن[٧] ، وقتادة)[٨][٩] .

وقال الكلبي ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ استثناء منه ، وله الاستثناء في كل شيء ، ولم ينس بعد نزول هذه الآية شيئاً[١٠] واختاره الفرَّاء ، فقال : لم يشأ أن ينسى شيئاً[١١] وهو كقوله : ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود :١٠٧ـ١٠٨] ولا يشاء ، وأنت قائل في الكلام لأعطينك كل مَا سَألت إلا مَا شئت ، وإلا أن أشاء أن أمنعك ، والنية أن لا تمنعه ، وعلى هذا مجاري الأيمان يستثنى فيها ونية الحالف[١٢] .

---

(١) ساقط من (ع) .

(٢) ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ .

(٣) البحر المحيط ٨/ ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، والدر المنثور ٨/ ٤٨٣ ، وعزاه إلى ابن المنذر ، و ابن أبي حاتم .

(٤) التفسير الكبير ٣١/ ١٤٣ ، والذي ورد عنه في تفسيره ٢٣٧/ ب قال : يعني ما شاء الله فينسخها وباتي بخير منها .

(٥) في (أ) : حكمته .

(٦) في (أ) : الإنسان .

(٧) النكت والعيون ٦/ ٢٥٣ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٦٩ ، وزاد المسير ٨/ ٢٢٩ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٥٨ ، وانظر : تفسير الحسن البصري ٢/ ٤١٢ .

(٨) المراجع السابقة عدا تفسير الحسن .

(٩) ما بين القوسين ساقط من : (أ) .

(١٠) ورد معنى قوله في التفسير الكبير ٣١/ ١٤٢ .

(١١) من قوله : واختار إلى (شيئاً) كرر في نسخه : (أ) .

(١٢) معاني القرآن ٣/ ٢٥٦ بنحوه ، وفيه الحالف التمام .

قال أبو إسحق : إلا مَا شاء الله ، ثم يَذْكُره بعد[١] .

يعني أنه قد ينسى مَا شاء الله ، ثم يَذْكُر بعد ما قد نسيه ، ولا ينسى نسياناً كلياً .

وقوله[٢] (تعالى)[٣] : ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ﴾ ؛ أي من القول ، والفعل[٤] . ﴿وَمَا يَخْفَىٰ﴾ منهما . والمعنى يعلم العلانية ، والسر ، وهذا يتصل بما قبله على معنى يعلم ما تجهر به يا محمد مما تقرؤه على جبريل ، ويعلم ما تخفيه في نفسك من القراءة مخافة النسيان[٥] .

وكثير من المفسرين[٦] قالوا : هذا ابتداء كلام آخر معترض بين قوله : ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ .

٨. وقوله[٧] (تعالى)[٨] : ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ قال عطاء : نيسرك يا محمد في جميع أمورك لليسرى[٩] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣١٦ مختصراً .

(٢) في (أ) : قوله .

(٣) ساقط من (ع) .

(٤) هذا من قول الثعلبي : في الكشف والبيان : ج١٣ : ٧٧/ ب .

(٥) ورد هذا القول في الكشف والبيان : ج١٣ : ٧٧/ ب .

(٦) منهم قتادة ، قال : الوسوسة . تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٦٧ ، ولم أعثر على غيره ممن قال بذلك .
وذهب إلى القول بعموم معنى الآية : الطبري في جامع البيان ٣٠/ ١٥٤ ، وسعيد بن جبير كما في الدر المنثور ٨/ ٤٨٤ ، والشوكاني في فتح القدير ٥/ ٤٢٤ .

(٧) في (أ) : قوله .

(٨) ساقط من (ع) .

(٩) لم أعثر على مصدر لقوله .

وقال مقاتل : نهون عليك عمل الجنة[١] ، وهو معنى قول ابن عباس : نيسرك لأن تعمل خيراً ، واليسرى عمل الخير[٢] .

وروي عن ابن مسعود أنه قال : اليسرى الجنة[٣] ، والمعنى على هذا : نيسرك للعمل المؤدي إليها .

وذُكر قولان آخران ؛ أحدهما : نهون عليك الوحي ، وتحفظه ، وتعمله[٤] ، وتعمل به[٥] . والآخر : نوفقك للشريعة اليسرى هي الحنيفة السمحة[٦] .

٩. (قوله تعالى)[٧] : ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ ؛ أي عظ يا محمد أهل مكة بالقرآن إن نفعت الموعظة والتذكير . قال صاحب النظم : هذا الشرط غير معزوم عليه ، ولا محتوم ؛ لأن التذكير قد كان في بعض الأوقات غير نافع ، والأمر به واقع في كل وقت ؛ نفع أو لم ينفع ، قال : وهذا كقوله : ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة : ٢٣٠] ،

---

(١) معالم التنزيل ٤/ ٤٧٦ ، وفتح القدير ٥/ ٤٢٤ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ٢٥٤ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٧٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٩ ، والدر المنثور ٨/ ٤٨٤ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٣) النكت والعيون ٦/ ٢٥٤ ، والتفسير الكبير ٣١/ ١٤٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٩ .

(٤) تعمله : كررت في نسخه : (أ) .

(٥) فتح القدير ٥/ ٤٢٤ ، وبمثله من غير عزو ورد في معالم التنزيل ٤/ ٤٧٦ ، والتفسير الكبير ٣١/ ١٤٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٩ .

(٦) ورد هذا القول من غير عزو في المراجع السابقة ، وقال الشوكاني : الأولى حمل الآية على العموم ؛ أي نوفقك للطريقة اليسرى في الدين والدنيا في كل أمر من أمورهما التي تتوجه إليك . فتح القدير ٥/ ٤٢٤ .

(٧) ساقط من (ع) .

فقوله : «إن ظنا» شرطاً لإطلاق المراجعة ، ولو كان محتوماً[١] لما جاز أن تراجع حتى يظن أن يقيم حدود الله[٢] . هذا كلامه .

ومعنى الشرط هاهنا : إن الله -تعالى- علم أن التذكير نافع في بعض الأوقات ، وهو تذكير من يتذكر ويتعظ ، وعلم أنه لا ينفع المستكبر المصرّ ، فنصّ على ذكر إحدى الحالتين ، وهو مضمن بالحالة الثانية ، على معنى : إن نفعت الذكرى أو لم تنفع ؛ لأن النبي ﷺ بُعث مبلغاً للإعذار[٣] والإنذار ، فعليه التذكير في كل حَال ؛ نفع أو لم ينفع ، ولم تذكر الحَالة الثانية كقوله : ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل :٨١][٤] .

(وله نظائر كثيرة في التنزيل[٥])[٦] ، وكلام العرب[٧] ، وقد نبَّه الله -تعالى- على تفصيل الحالتين .

---

(١) في (أ) : حوا .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله ، وقد ورد مختصراً جداً في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٠ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٥٨ ، وفتح القدير ٥/ ٤٢٤ .

(٣) في (أ) : للاعتذار .

(٤) بمعنى أنه أراد الحر والبرد جميعاً .

(٥) كقوله تعالى : ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق ٤٥] .
وكقوله تعالى : ﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ : [الأعلى ٩] .
وقوله تعالى : ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [البقرة ١٧٢] .
وقوله : ﴿فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ﴾ . [النساء ١٠١] . فإن القصر جائز عند الخوف وعدمه .
استخراج بعض الآيات مستفاد من فتح القدير ٥/ ٤٢٤ .

(٦) ما بين القوسين ساقط من : (أ) .

(٧) كقول الشاعر :

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

وكما تقول لرجل : قل لفلان ، وأعد له إن سمعك . إنما هو توبيخ المشار إليه ، وإعلام أنه لم يسمع . انظر : المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٠ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٥٩ .

١٠. قوله[١] : ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ سيتعظ بالقرآن من يخشى الله ، قال عطاء : يريد[٢] عثمان[٣] بن عفان . وقال الفرَّاء : أنزلت في ابن أم مكتوم[٤] . ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾[٥] يعني : ويتجنب الذكرى ، قاله الفرَّاء[٦] ، والزَّجَّاج[٧][٨] .

١١-١٢. (قوله تعالى)[٩] : ﴿ٱلْأَشْقَى﴾ يعني : ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ قال عطاء : يريد العظيمة ، الفظيعة[١٠][١١] . قال مقاتل : لأنها أعظم وأشد حراً من نار الدنيا[١٢] . وقال الكلبي هي النار السفلى[١٣] .يعني أن نار تلك الطبقة التي هي الدرك الأسفل أعظم وأشد حراً .

---

(١) بياض في : (ع) .

(٢) في (أ) : عثمن .

(٣) لم أعثر على مصدر لقوله ، وقد ورد بمثل قوله من غير عزو في التفسير الكبير ٣١/ ١٤٦ .

(٤) لم أعثر على مصدر لقوله ، وقد ورد هذا القول عن أبي صالح عن ابن عباس قال : نزلت في ابن أم مكتوم ، الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٠ .

(٥) ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾ .

(٦) معاني القرآن ٣/ ٣٥٦ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣١٦ .

(٨) في (ع) : الزَّجَّاج والفرَّاء .

(٩) ما بين القوسين ساقط في (أ) .

(١٠) في أ : المطيعة .

(١١) لم أعثر على مصدر لقوله ، وقد ورد بمثله من غير عزو في معالم التنزيل ٤/ ٤٧٦ ، وزاد المسير ٨/ ٢٣٠ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٧٠ ، وفتح القدير ٥/ ٤٢٥ .

(١٢) بمعناه في تفسير مقاتل ٢٣٧/ ب ، وقد ورد بمثله من غير عزو ، انظر : المراجع السابقة .

(١٣) لم أعثر على مصدر لقوله ، وقد ورد بمثله من غير عزو في المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٠ ، وقد ورد بمعناه عن الفرَّاء في معاني القرآن ٣/ ٢٥٦ .

١٣. ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾[١] فيستريح. ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياه تنفعه. قال مقاتل: قال ونزلت هذه الآيات في الوليد، وعتبة، وأمية[٢].

١٤. (قوله تعالى)[٣]: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد عثمان بن عفان[٤]. ومعنى ﴿تَزَكَّىٰ﴾[٥].

١٥. .قال: لا إله إلا الله[٦]. ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾[٧] قال: ذكر معاده، وموقفه بين يدي الله فصلى[٨].

والمعنى على هذا: قد أفلح من تطهر من الشرك، وذكر ربه بالخوف والخشية، فعبده وصلى (له)[٩]، يعني[١٠]: الصلوات الخمس[١١]، (ونحو هذا روى جابر مرفوعاً)[١٢][١٣].

---

(١) ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾.

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله.

(٣) ساقط من (ع).

(٤) لم أعثر على مصدر لقوله، غير أنه ورد بمثل قوله عن عطاء في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٢، وعن الضحاك: أنها نزلت في أبي بكر، انظر: النكت والعيون ٦/ ٢٥٥، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٢.

(٥) ساقط من (ع).

(٦) قال بذلك ابن عباس عن طريق سعيد بن جبير في معالم التنزيل ٤/ ٤٨٦، والتفسير الكبير ٣١/ ١٤٨، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٢، والدر المنثور ٨/ ٤٨٤، وعزاه إلى البيهقي في الأسماء والصفات، وقد قال بذلك أيضاً عكرمة في جامع البيان ٣٠/ ١٥٦.

(٧) ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾.

(٨) قال بذلك ابن عباس من طريق عطاء. انظر: قوله في الكشاف ٤/ ٢٠٥، والبحر المحيط ٨/ ٤٦٠، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٣٥، والدر المنثور ٨/ ٤٨٤، وعزاه إلى ابن المنذر، وابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٩) ساقط من: (أ).

(١٠) في (أ): المعنى.

(١١) وهو قول ابن عباس: جامع البيان ٣٠/ ١٥٧، والنكت والعيون ٦/ ٢٥٥، وزاد المسير ٨/ ٢٣٠.

(١٢) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(١٣) سلسلة الإسناد كما جاءت عن البزار كالآتي: =

وقال الحسن : أفلح من كان عمله زاكياً[١] ، وعمل صالحاً[٢] ، وهو قول قتادة[٣] ، قال أبو إسحاق : معنى تزكى تكثر بتقوى الله ، ومعنى الزاكي : النامي[٤] الكثير[٥] .

وجماعة (من)[٦] المفسرين يحملون[٧] الآيتين على زكاة[٨] الفطر ، وصلاة العيد .

= وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عباد بن أحمد العرزمي ، حدثنا عمي محمد بن عبدالرحمن عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عبدالرحمن بن سابط عن جابر بن عبدالله عن النبي ﷺ قال : «قد أفلح من تزكى» قال : «من شهد أن لا إله إلا الله وخلع الأنداد ، وشهد أني رسول الله ، وذكر اسم ربه فصلى» قال : هي الصلوات الخمس ، والمحافظة عليها ، والاهتمام بها ، ثم قال : لا يروى عن جابر إلا من هذا الوجه . انظر : كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة للهيثمي ٣/ ٨٠ ح ٢٢٨٤ .

وأخرجه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٥ ، والسيوطي في الدر المنثور ٨/ ٤٨٤ ، وعزاه إلى البزار ، وابن مردويه .

وقال الهيثمي : وفيه عباد بن أحمد العرزمي قال عنه الدار قطني : متروك . (انظر : ميزان الاعتدال ٢/ ٣٦٥ : ت ٤١٠٨) ، وقد رواه البزار عن شيخه عباد بن أحمد العرزمي ، وهو متروك ، مجمع الزوائد ٧/ ١٣٧ سورة سبح .

(١) بياض في (ع) .

(٢) ورد قوله في جامع البيان ٣٠/ ١٥٦ ، والكشف والبيان : ج ١٣ : ٧٨/ أ ، معالم التنزيل ٤/ ٤٧٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢١ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٦٠ ، وزاد المسير ٨/ ٢٣٠ ، وتفسير الحسن البصري ٢/ ٤١٢ .

(٣) ورد معنى قوله في تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٦٧ ، والكشف والبيان ج١٣ : ٧٨/ أ ، الدر المنثور ٨/ ٤٨٤ ، وفتح القدير ٥/ ٤٢٥ .

(٤) بياض في (ع)

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣١٦ بنص العبارة .

(٦) ساقط من (أ) .

(٧) بياض في (ع) .

(٨) زكوة : في كلا النسختين .

قال الكلبي : أفلح[١] من تزكى قبل مروره إلى العيد ، وصلى مع الإمام[٢] . وهو قول (عكرمة[٣] ، وأبي العالية[٤] ، وابن سيرين[٥] ، وابن)[٦] (عمر[٧])[٨] ، وروي ذلك مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال : «قد أفلح من تزكى» : أخرج زكاة[٩] الفطر ، «وخرج إلى المصلى فصلى»[١٠] .

---

(١) بياض في (ع) .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله ، وقد ورد بمثله من غير عزو في التفسير الكبير ٣١/ ٤٨ .

(٣) ورد قوله في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢١ ، والتفسير الكبير ٣١/ ١٣٨ ، وفتح القدير ٥/ ٤٢٥ .

(٤) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٤٧٢ ، والكشف والبيان : ج ١٣ : ٧٨/ أ ، معالم التنزيل ٤/ ٤٧٧ ، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢١ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٣٥ ، والدر المنثور ٨/ ٤٨٥ ، وفتح القدير ٥/ ٤٢٥ ، وتفسير أبي العالية تح : نورة الورثان ٢/ ٦٣٨ ، والسنن الكبرى للبيهقي ٤/ ٢٦٨ ح ٧٦٦٩ .

(٥) معالم التنزيل ٤/ ٤٧٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢١ ، والدر المنثور ٨/ ٤٨٦ ، والسنن الكبرى للبيهقي ٤/ ٢٦٨ .

(٦) ما بين القوسين لم يذكر في (أ) ، وإنما ذكر بدلاً من تعدادهم عبارة مجملة ، وهو قول جماعة .

(٧) معالم التنزيل ٤/ ٤٧٧ ، والتفسير الكبير ٣١/ ١٤٨ ، والسنن الكبرى للبيهقي ٤/ ٢٦٨ .

(٨) ما بين القوسين بياض في (ع) ، وأثبت ما جاء في الوسيط ٤/ ٤٧١ ، وكذلك التفسير الكبير ٣١/ ٤٨ ، فقد سرد الأسماء السابقة لابن عمر كما هي عند الواحدي في البسيط والوسيط ، وهو كثيراً ما ينقل عنه بعزو وبغير عزو ، فلهذا أثبت ما جاء عندهما ، والله أعلم .

(٩) زكوة : في كلا النسختين .

(١٠) الحديث أورده القرطبي عن كثير بن عبدالله ، عن أبيه عن جده ، عن النبي ﷺ ، وذكر الحديث بمعناه في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢١ ، والدر المنثور ٨/ ٤٨٥ ، وعزاه إلى البزار ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والحاكم في الكنى ، وابن مردويه ، والبيهقي في السنن الكبرى ٤/ ١٦٨ : ح ٧٦٦٨ ، قال السيوطي : أخرجه بسند ضعيف عن كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف ، عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ .
وروى مثله الطبراني في المعجم الكبير ٢٢/ ٩٨ : ح ٢٣٩ ، وفيه محمد بن أشقر ، وهو ضعيف . انظر : مجمع الزوائد كتاب التفسير : (سورة سبح) ٨/ ١٣٦ ، ١٣٧ .

قال أستاذنا أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله[١] : ولا أدري ما وجه هذا التأويل ، لأن هذه السورة مكية بالإجماع ، ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة ، ولا فطر ، والله أعلم[٢] .

قلت : يجوز أن يكون الله أنزل إلينا[٣] على من فعل ذلك إذ أنزله ، وأمر به ، وكان في معلومه أن ذلك سيكون ، فأثنى[٤] على من فعل ذلك ، وأثنى[٥] على من ائتمر به ، وأطاعه في ما يأمر به[٦] من زكاة الفطر ، وصلاة العيد ، إذ أنزل الأمر بهما .

وقال مقاتل : قد أفلح من تصدق (الفطر)[٧] من ماله ، وذكر ربه بالتوحيد في الصلاة ، فصلى له[٨] .

وهذا يجوز أن يحمل على الزكاة[٩] والصلاة المفروضتين ، وأن يحمل على التطوع بهما .

---

(١) في (ع) : رضي الله عنه .

(٢) الكشف والبيان ج ١٣ : ٧٨/ ب بنصه ، وممن وافقه على ذلك ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٢٣٠ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٢ ، والخازن في لباب التأويل ٤/ ٣٧٠ ، والشوكاني في فتح القدير ٥/ ٤٢٥ .

(٣) بياض في (ع) .

(٤) في (أ) : وأثنى .

(٥) في (ع) : فأثنى .

(٦) في (أ) : الله .

(٧) ساقط من (ع) .

(٨) بمعناه في تفسير مقاتل ٢٣٧/ ب .

(٩) الزكوة في كلا النسختين .

١٦-١٧. قوله: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ[١] ٱلدُّنْيَا﴾ (قراءة العامة ب «التاء»[٢] لما روي في حرف أبي: «بل أنتم تؤثرون»)[٣]. قال الكلبي: تؤثرون عمل الدنيا على عمل الآخرة[٤]. وقال ابن مسعود: دار الدنيا أحضرت، وعجل لنا طعامها وشرابها، ونساؤها، ولذتها، وبهجتها، وأن الآخرة نعتت لنا، وزويت عنا، فأخذنا بالعاجل، وتركنا الآجل[٥].

وقرأ أبو عمرو: (يُؤثِرُونَ) (بالياء)، وقال: يعني: الأشْقَيْن[٦] الذين ذكروا في قوله: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾، ثم رغب في الآخرة، فقال: ﴿وَٱلْآخِرَةُ﴾؛ أي والدار الآخرة يعني: الجنة. ﴿خَيْرٌ﴾ أفضل ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ أدوم من الدنيا.

١٨. قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ يعني ما ذكر من عند ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ أربع آيات. ﴿لَفِى﴾ الكتب الأولى التي قد أنزلت قبل القرآن؛ ذكر فيها فلاح المتزكي، والمصلي، وإيثار الخلق الآخرة على الدنيا، وأن الآخرة

---

(١) الحيوة في كلا النسختين.

(٢) وقرأ بذلك أيضاً يعقوب.
انظر: السبعة ٦٨٠، القراءات وعلل النحويين فيها ٢/ ٧٦٧، والحجة ٦/ ٣٩٩، والمبسوط ٤٠٥، وحجة القراءات ٧٥٩، والتبصرة ٧٢٤، والنشر ٢/ ٤٠٠.

(٣) ما بين القوسين نقل عن الحجة ٦/ ٣٩٩.

(٤) الوسيط ٤/ ٤٧٢.

(٥) ورد معنى قوله في جامع البيان ٣٠/ ٥٧، والكشف والبيان ج ١٣/ ٧٩/ أ، معالم التنزيل ٤/ ٤٧٧، والتفسير الكبير ٣١/ ١٤٩، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٣، ولباب التأويل ٤/ ٣٧١، تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٣٥، والدر المنثور ٨/ ٤٨٧، وعزاه أيضاً إلى ابن المنذر، والطبراني، والبيهقي في شعب الإيمان.

(٦) وقرأ أيضاً يعقوب وقتيبة عن الكسائي بذلك.
انظر: كتاب السبعة ٦٨٠، القراءات وعلل النحوين فيها ٢/ ٧٦٧، والحجة ٦/ ٣٩٩، والمبسوط ٤٠٥، والكشف ٢/ ٤٧٠، وحجة القراءات ٧٥٩، والتبصرة ٧٢٤، والنشر ٢/ ٤٠٠.

خير ، وهـذا قول (الكلبـي[١])[٢] ، ومقاتل[٣] ، (والفـرَّاء[٤])[٥] ، والزَّجَّاج[٦] ، (وابن قتيبة)[٧] قال : ولم يُرد الألفاظ بعينها ، وإنما أراد أن الفلاح لِمَن تزكى ، وذكـر الله فصلى في الصحف الأولى ، كما هو في القرآن[٨] .

(وروى معمـر عن قتادة قال : يعني هذه السـورة[٩])[١٠] ، وقال ابن زيد : يعني قوله : ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾[١١][١٢] ، فرد الإشـارة في قوله : ﴿إِنَّ هَـٰذَا﴾ إلى الأقرب إليه . (ونحو ذلك)[١٣] روي[١٤] عن قتادة أنه[١٥] قال : تتابعت كتب الله كما تسمعون أن الآخرة خير وأبقى[١٦] .

---

(١) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٢) ساقط من (أ) .

(٣) تفسير مقاتل ٣٣٧/ ب بمعناه .

(٤) معاني القرآن ٣/ ٢٥٧ ، بمعناه .

(٥) ساقط من (أ) .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣١٦ بمعناه .

(٧) ساقط من (أ) .

(٨) تفسـير غريب القرآن ٥٢٤ بيسـير من التصرف ، وهـذا القول ذهب إليه الطـبري في جامع البيان ٣٠/ ١٥٨ ، وقال ابن عطية : وهذا هو الأرجح لقرب المشار إليه بهذا ، المحرر الوجيز ٤/ ٤٧١ .
وقال ابن كثير ٤/ ٥٣٦ وهذا الذي اختاره يعني ابن جرير حسن قوي .

(٩) تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٦٧ ، وجامع البيان ٣٠/ ١٥٨ .

(١٠) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(١١) بياض في (ع) .

(١٢) ورد معنى قوله في جامع البيان ٣٠/ ١٥٨ ، والكشـف والبيان ج١٣/ ٧٩/ أ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٤ ، وفتح القدير ٥/ ٤٢٥ .

(١٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(١٤) في (أ) : وروى .

(١٥) في (ع) : فقد .

(١٦) جامع البيان ٣٠/ ١٥٨ ، والكشـف والبيان ج١٣ : ٧٩/ أ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٤ ، والدر المنثور ٨/ ٤٨٨ ، وعزاه إلى عبدالرزاق ، وإلى ابن جرير ، وابن المنذر . فتح القدير ٥/ ٤٢٥ .

١٩. ثم بيَّن أن الصحف الأولى مَا هـــي ، فقال : ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ ، قال (عطاء عن)[١] ابن عبـــاس : يريد كتباً أنزلت على إبراهيم ، وكان نزل على موسى صحف قبل التوراة كما قال عز وجل : ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾[٢] [النجـم :٣٦] ، ويجـــوز أن يعني بصحف موسى التوراة .

(تمت)[٣]

* * *

(١) ساقط من (أ) .
(٢) بياض في (ع) .
(٣) ساقط من (ع) .